



إسهامات غير مسبوقة!! – 4 ديسمبر 2020

AL-JAZIRAH



لابد من الإشارة إلى أن الطب قد تطور كثيراً على يد العلماء المسلمين ليصبح واحداً من أوسع مجالات العلوم التي تهتم بصحة الإنسان، والإسهامات المقدمة غير مسبوقة شملت علاج الأمراض وابتكار عقاقير طبية وغيرها. روى ابن أبي أصيبيعة في كتابه: (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) قصة عجيبة عن (صالح بن بهلة) أحد أطباء المسلمين العظام، خلاصتها أنه قد ورد إلى أمير المؤمنين الرشيد نعى ابن عمّه إبراهيم بن صالح، فلما غسل وكفن وجلس الرشيد للعزاء قبل دفنه صاح فيه صالح بن بهلة - وكان قد فحص الرجل قبل إعلان وفاته بمدة يسيرة - : يا أمير المؤمنين لا تدفن ابنَ عُمِّك حياً! أدخلني إليه وستري!

فلما دخل صالح على إبراهيم وهو في كفنه وخزنه بإبرة بين ظفر إبهام يده اليسرى ولحمه فجذب إبراهيم يده! فقال الطبيب صالح: أرأيت يا أمير المؤمنين؟ ثم إنّه ظل ينفع في فمه وأنفه نحو ثلاثة ساعات، تارةً بفمه وتارةً بمنفاه، فلم يلبث إبراهيم أن اضطرب جسده ثم عطس ثم جلس!

وهكذا كان هذا الطبيب المسلم أول من ابتكر الإنعاش الرئوي وأنقذ بذلك الرجل من أن يُدفن حياً!



ليست هذه القصة النادرة سوى شاهد واحد من مئات الشواهد على (القفزات) العظمى التي حقّها المسلمون في المجال الطبي إبان ازدهار الحضارة الإسلامية.

تلك (القفزات) التي كانت تتكىء على (رؤيه إسلامية) تعرف قيمة الطب، وتحث عليه، وحسبنا قول الإمام الشافعى: «لا أعلم علمًا بعد الحلال والحرام أنبأ من الطب». ولم يكن الطب في الحضارة الإسلامية كلاماً مُباحاً، بل كان علمًا مصوناً الجانب، مهيباً الحمى، وقد كان للأطباء في زمن الخليفة العباسى المقتدر (امتحان)، فلا يتقدّر للتطبيب إلا من يجوزه وينجح فيه ويحصل على ترخيص، وقد انتدب الخليفة المقتدر الطبيب البارع ثابت بن قرّة لإجراء هذه الاختبارات، وذلك بعد أن ثبت لديه موت مريض بسبب خطأ طبّي.

وقد أفضت العناية بالطب نظرياً وعملياً إلى مبتكرات إسلامية طبية يضيق الوقت عن حصرها، أذكر منها:

الجراحة بأنواعها سبق إليها المسلمون، وقد ألحَ الزهراوى في القرن الخامس الهجرى على درس التشريح، على حين أنَّ أول عملية تشريح أُجريت في أوروبا كانت في أواخر القرن التاسع الهجرى!

وابتكر الزهراوى أكثر من مئتي آل جراحية. ووضع أسس علم المناظير، وقام بالفعل بتفتيت حصوة المثانة بما يشبه المنظار، وتعرّض لحصاة الكلى، وشرح كيفية استخراجها، وتوصل إلى طريقة مبتكرة لعلاج الناسور!

وابتكر الرازى الخيوط الجراحية المصنوعة من أمعاء الحيوانات. ومارس النساء الطب، وقد كانت في بلاط أبي يوسف المنصور طبيبات من عائلة ابن زهر. وما لم يقل أضعاف ما قيل.